الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد:

فنواصل القراءة في هذا الكتاب القيِّم "**الكلم الطيب**" لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، ووصلنا إلى الفصل المتعلِّق بأذكارِ طرفي النهار.

(المتن)

وقال عبد الله بن خُبيب: خرجنا في ليلة مطرٍ، وظلمةٍ شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا، فأدركناه، فقال: «قل، فلم أقل شيئاً، ثم قال: قل، فلم أقل شيئاً، قال: قل، قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء».خرجه أبو داود، والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(الشرح)

أورد المصنف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هُنا هذا الحديث، حديث عبد الله بن خُبيبٍ في قصة وخبر تعليم النبي ﷺ له لأن يقرأ كُلَّ يومٍ ثلاث مراتٍ إذا أصبح، وثلاث مراتٍ إذا أمسى قل هو الله أحد، والمعوذتين، هذه السور الثلاث لها شأنٌ عظيم، سورة الإخلاص التي وصفها النبي -عليه الصلاة والسلام- أنها تعدل ثلث القرآن، كما جاء في صحيح مسلم، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟**» فقالوا: **وكيف يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟** قال: «**يقرأ قل هو الله أحد فهي تعدل ثلث القرآن**»، أي: أنَّ لها هذا الثواب، لا أنَّ من قرأها يكون قد قرأ ثلث القرآن، أو أنَّه يُستغنى بقراءتها عن قراءة القرآن، أو بقراءة هذه السورة ثلاث مراتٍ عن قراءة القرآن، وإنما هذا بيانٌ لثواب هذه السورة ومكانتها وعظيم منزلتها، وأنها تعدلُ ثلث القرآن.

وقد قال العُلماء في معنى ذلك: أنَّ القرآن يحتوي من حيث الجُملة على أمورٍ ثلاثة:

- يحتوي على العقيدة، وبيان أسماء الله وصفاته.
- ويحتوي على الأحكام والأوامر والنواهي.
- ويحتوي على القصص والأخبار.

فهو ينقسم إلى هذه الأقسام الثالثة من حيث الجُملة، وسورة قل هو الله أحد أُخلصت لبيان صفة الرب -سبحانه وتعالى-، ولهذا تُسمى سورة الإخلاص لأنها أُخلصت لبيان صفة الله -عز وجل-.

وقد جاء في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنَّ النبي ﷺ أمَّر رجلًا على سرية، فكان يقرأ بهم في الصلاة ويختم في كل ركعة بقل هو الله أحد، فأشكل هذا الأمر على من معه من الصحابة، فأتوا إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وسألوه، فقال لهم -عليه الصلاة والسلام-: «**اسألوه لأي شيءٍ كان يفعل ذلك؟**» فرجعوا إليه وسألوه، قال: **لأنَّ فيها صفة الرحمن وأنا**

أحب الرحمن، هذا هو السبب، قال: لأنَّ فيها صفة الرحمن وأنا أُحبُّ الرحمن، فذهب الصحابة إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وذكروا له الخبر، فقال: «**أخبروه أنَّ الله يحبهُ**».

هُنا انظروا إلى فقه الصحابة وكمال علمهم، وكمال فهمهم، وعظمة التوحيد في قلوبهم، فها هو يقول: لأن فيها صفة الرحمن وأنا أحب الرحمن، نحن نستفيد من هذا الحديث فائدة عظيمة وهي: أهمية محبة صفات الله الواردة في القرآن والسُنَّة وأسمائه، وأن نفرح بسماعها وتلاوتها وفهمها وتدبرها، وأن نقوي إيماننا بحسن الصلة بمعرفة الله -عز وجل- ومعرفة أسمائه وصفاته.

وقد قال بعض العلماء قديمًا: من كان بالله أعرف كان منه أخوف، ولعبادته أطلب، وعن معصيته أبعد، أي: أنك كلما ازددت معرفةً بالله وأسمائه وصفاته وعظمته زاد إقبالك عليه -سبحانه وتعالى-، وزادت محافظتك على طاعته، وبعدك عن نواهيه -عز وجل-، فهذا فيما يتعلَّق بسورة الإخلاص.

وفيما يتعلق بسورتي المعوذتين، ويُقال لهما: المعوذتان لما فيهما من التعويذ بالله -سبحانه وتعالى-، التعويذ برب الناس والتعويذ برب الفلق من الشرور والآفات، فتُسمَّى هاتان الصورتان بالمعوذتين لما فيهما من التعويذ، وقد جاء في فضلهما ما ثبت في صحيح مسلم أنَّ النبي -عليه الصلاة والسلام- قال لأحد أصحابه: «**ألم ترَ ما أُنزل هذه الليلة لم أرَ مثلهن**» وذكر هاتين السورتين، أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-.

فالشاهد: أنَّ هذه السور الثلاثة: سورة الإخلاص، والمعوذتين، لهما شأنٌ عظيم ومكانة عالية جدًا، والمسلم يُستحب له أن يحافظ على قراءة هذه السور الثلاث ثلاث مراتٍ إذا أصبح، وثلاث مراتٍ إذا أمسى، وقد أخبر النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- أنَّ من حافظ على هذه القراءة يُكفى كما سيأتي بيانُ ذلك.

عبد الله بن خُبيب يقول: خرجنا في ليلة مطرٍ، وظلمةٍ شديدة، عادةً الليلة إذا كانت مظلمة ظلمة شديدة ومطيرة، عادةً يلحق بعض الناس في مثل تلك الليلة خوف، عادةً يلحق بعض الناس مخاوف، يتخوَّف من شرور من آفات تلحقه أو تصيبه، أو جوائح، أو مصائب أو أي شيء، عادةً يلحق كثير من الناس كثير من المخاوف إذا كانت ليلة مظلمة وظلمتها شديدة، وفي الوقت نفسه أيضًا ليلةٌ مطيرة.

فيقول: **طلبنا النبي ﷺ ليصلي لنا**، ربما تكون الصلاة هذه التي أرادوها صلاة استصحاء قد تكون كذلك، فيقول: **طلبنا النبي -عليه الصلاة والسلام- ليصلي لنا** أو قد تكون فزع إلى الصلاة، **كان إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة**.

وقوله: **ليصلي لنا** أي: ليصلي بنا، **طلبنا النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه**، وكان ﷺ رحمةٌ مهداة ﷺ ويفتح أبواب الخير، وأبواب الطمأنينة، وأبواب اليسر، وأبواب الراحة، وأبواب زول المخاوف -عليه الصلاة والسلام- حتَّى دون أن يُسأل ودون أن يُطلب منه وهذا من كمال نصحه ﷺ وتمام بيانه.

فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- لعبد الله بن خُبيب: «**قل، فلم أقل شيئاً**» وهذا أيضًا أسلوب جميل في التعليم والتوجيه، وتمكين الفائدة في القلب، قال: «**قل، فلم أقل شيئًا**»، يعني لاحظوا! لم يقل له -عليه الصلاة والسلام- ابتداءً: «**قل هو الله أحد والمعوذتين تُكفى**»، وإنَّما شدَّه وشوقه وجذبه للفائدة قبل أن يُخبره.

قال: «**قل؛ فلم أقل شيئًا**» يعني: ظللت ساكتًا لأنه ما يدري ماذا أراد منه النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يقول، قال: **فلم أقل شيئًا، قال**: «**قل**» يعني: للمرة الثانية عاد عليه، قال: **فلم أقل شيئًا**، الآن تهيأ تمام التهيؤ لسماع ما سيقول وما سيؤمر بقوله، فهذا أمكن للفائدة وأبلغ في التعليم، وهذا كما قدمت من كمال نصح النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-، قال: «**قل**»،

فلم أقل شيئاً، قال: «**قل**»، قلت: **يا رسول الله ما أقول؟** هذه قالها بعد الثانية، قال: **ما أقول؟** يعني: أرشدني، الشيء الذي تريدني أقوله أرشدني إليه، وكأنه يقول: إنني الآن في غاية الشوق، وغاية الرغبة في معرفة هذا الأمر الذي تدعوني إلى قوله، وما سيرشده النبي -عليه الصلاة والسلام- تعلق بالموقف، له تعلق بالموقف، إزالة المخاوف حصول الطمأنينة راحة النفوس، زوال الفزع، هذا له تعلق، فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مراتٍ؛ يكفيك من كل شيء**»، بعض الشُراح قال: يكفيك من كل شيء، قال: أي: يكفيك من الأذكار الأخرى، وهذا قول ضعيف جدا، «**يكفيك من كل شيء**» يعني لا تحتاج إلى الأذكار الأخرى، الأذكار الأُخرى يُحتاج إليها في أبوابها وفي فوائدها وفي منافعها وفي آثارها، ولا يُقال: يكفيك أي: يُغنيك عن الأذكار الأُخرى، كُل ذكر وله بابه، وله أثره، وله فائدته وله ثوابه، كما سيأتي معنا فهذا قول ضعيف جدًا، لكن الصحيح أن قوله: «**يكفيك من كل شيء**» يعني: من كل شيء يؤذيك وتخافه، من كل شر، من شر الشياطين، شر أحد يعتدي عليك، شر مصيبة تصيبك، أو بلاء أو نحو ذلك، لم يخص النبي -عليه الصلاة والسلام- أمرًا معينًا وإنما قال: «**من كل شيء**» وشيء جاءت نكرة في هذا السياق، فهي تعم أي شيءٍ كان تتخوَّف منه، أو تخشى أن يصيبك أو أن يضرك، قال: «**يكفيك من كل شيء**» فالمعنى: أنها تكفيك بإذن الله -تبارك وتعالى- وتقيك من الآفات ومن الشرور، ومن شرور الشياطين، من الجوائح من المصائب، من كل شيء، «**تكفيك من كل شيء**» هي عامة وعلى إطلاقها.

قال: «**قل: ثلاث مرات، قل هو الله أحد والمعوذتين في الصباح وفي المساء**»، فأفاد الحديث أنَّ هذه السور الثلاث يُستحب للمسلم أن يقرأها ثلاث مراتٍ إذا أصبح، وثلاث مراتٍ إذا أمسى، والثمرة لهذه القراءة مبينة في هذا الحديث أنه يُكفى يوقى يُحفظ من الشرور، من الآفات لا يصيبه شيء بإذن الله -تبارك وتعالى- لأنه محفوظٌ بحفظ الله -عز وجل-.

من فوئد هذا الحديث: أنَّ التعليم بالمناسبة أمكن في تمكُّن الفائدة لدى المتلقي والسامع، التعليم بالمنسابة، فهُنا عبد الله بن خُبيب في ليلة مطيرة وشديدة الظلمة، وفي مثل هذه الليلة قد يحصل لكثير من الناس شيء من المخاوف أو الفزع أو نحو ذلك، فالتعليم في المناسبة أمكن، ويتمكَّن من النفس ويثبت عند الإنسان أكثر مما لو كان كذلك.

ثُمَّ هذه السور الثلاث:

السورة الأولى: التي هي سورة الإخلاص، فيها صفة الرب، كما قال ذلك الصحابي الجليل الذي عرفنا خبره، قال: **لأن فيها صفة الرحمن وأنا أُحبُّ الرحمن**، ففيها صفة الرب، ولو قيل لأحدنا: من الله؟ من هو الرب؟ من هو الله، فقرأ هذه السورة: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** [١] **اللَّهُ الصَّمَدُ** [٢] **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** [٣] **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١-٤]؛ لكانت كافية في التعريف بالرد، وذكر عظمته وجلاله وتفرده ووحدانيته -سبحانه وتعالى-، فسورة الإخلاص هي: سورةٌ أُخلصت لبيان عظمة الرب وبيان أسمائه وصفاته -سبحانه وتعالى-.

وسورتا المعوذتين: فيهما التعويذ، تعويذ الإنسان، وأبلغ ما يكون في التعويذ، التعويذ بهاتين السورتين: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ [الفلق:١] أي: الله -سبحانه وتعالى- فالق الحَبِّ والنوى، فالق الإصباح -جل وعز-، ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾، ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ [الفلق:٢]؛ والمراد ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ أي: من شرِّ كُلِّ مخلوقٍ قام فيهِ شرٌّ، ليس كل مخلوقٍ فيه شر، ولكن المراد هنا: ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ أي: من شر كل مخلوقٍ قام فيه شر، ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾، ﴿**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾ [الفلق:٣] وهذا أيضًا فيه التعوُّذ من شرِّ الغاسق إذا وقب، يعني: إذا غاب القمر وغاب الضياء، وما يكون في وحشة الظُلمة من مخاوف ونحو ذلك، ﴿**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾، ﴿**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ [الفلق:٤] أي: السواحر اللاتي ينفُثن في العقد ويفعلن

السحر، ففيه التعوذ من السواحر، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥] يعني: من شرِّ كل حاسد باشر حسد إنسانٍ، فهو يتعوذ بالله من ذلك.

وسورة الناس: فيها التعوذ ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾[١] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[٢]﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾[٣]﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[٤] الذي هو الشيطان الرجيم، ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٥] يعني: يلقي الوساوس في صدور الناس، ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس:٦]، ففيها التعوُّذ بالله -تبارك وتعالى- من الشيطان الرجيم، وفيها الإيمان بأقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

الشاهد: أنَّ هذه السور الثلاثة، سور عظيمة الشأن جليلة المكانة، يُستحبُّ للمسلم أن يقرأها يوميًا ثلاث مراتٍ إذا أصبح، وثلاث مراتٍ إذا أمسى، ويُستحبُّ له كذلك أن يقرأها أدبار الصلوات المكتوبة، ويُستحبُّ له أن يقرأها عندما يأوي إلى فراشه، يقرأها وينفث في يده، ويمسح ما استطاع من بدنه، كل ذلك من المواضع التي يُستحبُّ فيها قراءة هذه السور الثلاث.

(المتن)

وذكر أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(الشرح)

ثُمَّ أورد المصنف -رحمه الله- حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أصحابه، قوله: **يُعلِّم أصحابه**؛ هذا فيه كمال نصحه -عليه الصلاة والسلام-، وحرصه على التعليم ونفع الناس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وذكرهم لربهم ومولاهم -سبحانه وتعالى- ، كان يُعلِّم أصحابه فكان يُعلمهم وكانوا يتعلمون منه، وسيأتي معنا أحاديث عديدة في باب الذكر والدعاء، أنَّ الصحابة يأتون إليه ويقولون: **علمنا شيئًا نذكر الله به، علمنا شيئًا ندعو الله به**، فكان يُعلِّمهم -صلوات الله وسلامه عليه-، بل جاء في بعض الدعوات والأذكار يقول الصحابة: **كان يعلمنا إياها كما يعلمنا السورة من القرآن**، وهذا يدلنا على ضرورة العناية بالأذكار النبوية بألفاظها المأثورة عنه -عليه الصلاة والسلام- لأنَّ تغيير اللفظ أحيانًا يُغيِّر المعنى، يعني: بعض الناس يجتهد في زيادة لفظةٍ في الدعاء من نفسه فتغير المعنى، وربما لا تغيره، ربما تضعف المعنى.

مثلًا: بعض الناس تجده يقول: أستغفر الله العظيم من كُل ذنبٍ عظيم، يريد أن يكمل السجع، أستغفر الله العظيم من كل ذنبٍ عظيم، لماذا تقول: من كل ذنبٍ عظيم؟ لماذا تخص الاستغفار بالذنب العظيم؟ فتجده من أجل أن يراعي السجع، يفوت على نفسه كمال الاستغفار، ويخص طلب المغفرة بالذنب العظيم فقط، فأحيانًا بعض الناس يجتهد اجتهادًا يؤثر على الدعاء إمَّا بضعفه، أو بتغير معناه، أو بنقص مقصوده أو أشياء من هذا القبيل، فلماذا الإنسان يدخل نفسه في مثل هذه الأمور، ويفوت على نفسه كمال الدعوات النبوية، التي جاءت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- المعصوم من الخطأ والذلل، التي دعواته كلها مشتملة على غاية المطالب، وأجلّ المقاصد؟ فهذا كله يفيدنا أنَّ المسلم ينبغي عليه أن يعود نفسه على التقيد بالدعوات المأثورة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- بدون أن يزيد، حتَّى لو دعتك نفسك لزيادةٍ ترى أنها جميلة أو مفيدة أو حسنة دعها، فما صحَّ عن النبي ﷺ فيهِ كفايةٌ وغُنيان، وفيه التمام والكمال والوفاء.

قال: **كانَ يُعلِّم أصحابه، يقول: «إذا أصبح أحدكم»** يعني: إذا دخلت في وقت الصباح، «**إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور**»، «**بك أصبحنا وبك أمسينا**» أي: بمدِّك وعونك وفضلك ومَنِّكَ حصل لنا الإصباح وحصل لنا الإمساء، يعني: لولا منّك علينا بالإصباح، ومنّك علينا بالإمساء لما حصل لنا ذلك، فهي منَّتك علينا وتفضُّلك، مننت علينا وتفضَّلت، فأدركنا الإصباح وصرنا مع من أصبح بالصحة والعافية والأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، فهذه منة الله، فهو يعترف بالمِنة، ويعترف بالفضل ويقر بذلك، يقول: بِكَ، أي: يا الله أصبحنا، بمَنِّك وعونك وتوفيقك أصبحنا، وكذلك أمسينا.

«**وبك نحيا وبك نموت**»، أيضًا حياتنا وموتنا وجميع أحوالنا كلها بك ومنك؛ فكل حركةٍ وكل سكون وكل تصرف يقع منا فهو بك، بك فأنت المعين وأنت الممِد وأنت الموفِق، والأمر لكَ من قبل ومن بعد، لا يقع من الإنسان حركة أو سكون إلَّا بإذن الله -سبحانه وتعالى- وتوفيقه -سبحانه-.

قال: «**اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور**»، النشور هو: البعث والقيام من القبور ﴿**ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ**﴾[٢١]﴿**ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾ [عبس:٢٢] يعني: بعثه من قبره، النشور هو: البعث؛ ف «**إليك النشور**» البعث.

قال: «**وإذا أمسى**» يعني: إذا دخل وقت المساء، «**فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا**» يقدم ذكر المساء لمناسبة الوقت الذي هو فيه، «**اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا**» يعني بمدِّك وعونك أمسينا وأصبحنا، «**وبِكَ نحيا وبِكَ نموت**» أي: حياتنا وموتنا وكُلُّ تصرفاتنا، كُلُّ ذلك بمدك وعونك، هُنا قال: «**وإليك المصير**» في المساء قال: «**وإليك المصير**»، وفي الصباح قال: «**إليك النشور**»، قال العلماء: راعى في الصباح مناسبة القومة من النوم، وفي المساء راعى الصيرورة إلى النوم، والقومةُ من النوم أشبه بالبعث من الموت والنوم موتٌ؛ ولهذا سيأتي معنا في أذكار القومة من النوم: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا**» فالنوم: موت، والقومة منهُ بعثٌ تشبه البعث تشبه النشور، فناسب في الصباح أن يقول: «**وإليك النشور**» لأنه قام من النوم، وقومته من النوم تُشبه البعث من الموت، فقومه من نومه يُشبه بعثه من موته الذي هو النشور، فللمناسبة هنا قال ماذا؟ «**وإليك النشور**» يعني: إليك البعث، أنا الآن للتو بُعثت من موتتي التي هي النومة قمت منها بعون الله -تبارك وتعالى-، فقال هنا: «**وإليك النشور**».

وفي المساء عندنا يُمسي الإنسان هو في المساء صار إلى ماذا؟ يستقبل النوم، في المساء يستقبل النوم سينام، يستقبل النوم والنوم موتٌ؛ فناسب في هذا المقام أن يقول: «**وإليكَ المصير**» يعني: إليك المرجع بالموت نرجع إليك، نموت ثُمَّ نُبعث ثُمَّ نقف بين يدي الله -سبحانه وتعالى-، فلهذا في المساء قال: «**وإليكَ المصير**» مراعاةً لمناسبة الأمر، ففي الصباح قال: «**وإليك النشور**» وفي المساء قال: «**وإليكَ المصير**».

(المتن)

وعن شدَّاد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار؛ اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذُ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة». خرَّجهُ البخاري.

(الشرح)

ثُمَّ أورد -رحمه الله- هذا الحديث، حديث شدَّاد بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيد الاستغفار**» ثُمَّ ذكره، تأمَّل هُنا -رعاكَ الله- تَفخيم النبي -عليه الصلاة والسلام- وتعليته لشأن هذا الدعاء وهذا الاستغفار الذي ذكره في هذا الحديث بوصفه له ﷺ بأنهُ سيد الاستغفار، وأنت تعلم أنَّ السيد هو المقدَّم على غيره لتميزه وتميز صفاته وخِصال الخير فيه، فيُقال له: السيد المقدَّم على غيره يُقال له: السيد، ولما كان هذا الدعاء أو هذا الاستغفار بهذه الصيغة الآتية أكمل صِيغ الاستغفار، وأعلاها شأنًا، وأرفعها مكانةً وأجمعها لمعاني التذلل والخضوع والانكسار وتمام الاستغفار بين يدي الله -تبارك وتعالى-، وصفه النبي -عليه الصلاة والسلام- بسيد الاستغفار، يعني: أتمُّها وأكملها وأفضلها وأعظمها شأنًا، قال: «**سيد الاستغفار**»، ثم ذكره: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذُ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت**» هذه صيغة عظيمة جدًا، ويعظم أمرها، ويكمل أثرها فيكَ إذا تأمَّلت معانيها، وحقَّقت مدلولاتها، وأتمت في نفسك كمال الانكسار والذُلِّ بين يدي الله -تبارك وتعالى- بتحقيق هذه المعاني الكبيرة العظيمة التي اشتملت عليها هذه الصيغة من الاستغفار، وما فيها من الإقرار بالتوحيد والتعظيم لله -تبارك وتعالى- والتمجيد له، والاعتراف بمنه ونعمته، وأنَّ الأمور كلها بقدره -سبحانه وتعالى- إلى غير ذلكَ من المعاني الجليلة العظيمة التي اشتملت عليها هذه الصيغة.

بدأها بقوله: «**اللهم**» واللهم هي بمعنى: يا الله، اللهم أي: يا الله، حُذِف ياء النداء من أولها، وعُوضت بالميم الساكنة في آخرها، فقيل: اللهم، ولا تأتي إلا في النداء مثل: يا الله، لا تأتي إلَّا في النداء والسؤال والطلب، ولا تأتي في مقام الإخبار، يعني مثلًا لا تخبر لا تقول مثلًا: اللهم يدخل عباده الجنة، ما يصلح في باب الإخبار ما تصلح، وإنما هي صيغة نداء، ولكنَّ ياء النداء حُذفت من أولها وعُوض عنها بالميم الساكنة في آخرها، ولهذا نبَّه أيضًا العلماء أن لا يصلح أن تجمع بين العِوض والمعوَّض، ما يصلح أن تقول: يا اللهم، لا يصلح أن تقول: يا اللهم لأنَّ الميم عِوض عن الياء، فلا تجمع بينها وبين ياء النداء التي في الأول، فاللهم هذه مناداة تنادي الله -عز وجل-، تناديه باسمه العظيم الله، يا الله كأنك قلت: يا الله. «**اللهم أنت ربي**» وهذا إقرارٌ منك بربوبيته -سبحانه وتعالى-، «**أنت ربي**» ربي أي: الذي خلقتني، الذي تملكني، الذي تتصرف فيه، الذي تدبر أموري وشئوني، أنت ربي أي: المدبر الخالق المالك، وأنا مربوبٌ لك، مخلوقٌ لك، مُدبَّر، مُسخَّر، طوع تصرفك، لا تشاء شيئًا يقع في إلا كان كما شئت، ما شئت كان وإن لم أشأ، وما شئت إن لم تشأ لم يكن، الأمر لله -تبارك وتعالى-، «**أنت ربي لا إله إلا أنت**» أي: لا معبود لي حقٌّ سِواك، لا أعبدُ إلَّا إياك، لا أصرفُ شيئًا من العبادة إلَّا لك، كما أنَّك وحدك تفردت بخلقي ورزقي والإنعام علي والتصرف في فأنا أُفردك وحدك بالعبادة، أفردك وحدك بالطاعة، أخصك وحدك بالذُل، «**أنت ربي لا إله إلا أنت**» يعني: لا معبود لي بحقٍّ سِواك، ثم أعاد هذا المعنى مرةً ثانية لعظمته وفخامته وأهميته، أعاده فقال: «**خلقتني وأنا عبدك**» خلقتني هذه مرتبطة بقولك ماذا؟ «**أنت ربي**» من ربوبية الله لك خلقهُ لك، لأن الربوبية تتناول أمورًا عديدة منها الخلق، ومنها الملك، ومنها التصرُّف ومنها التدبير إلى غير ذلك، فـ «**أنت ربي**» خلقتني تفردت في خلقي، لا شريك لك في ذلك، «**لا إله إلا أنت**» يقابلها هُنا قال: «**وأنا عبدك**» لأن مقتضى «**لا إله إلا أنت**» أن تخصه بالعبادة، ولهذا لما أقرَّ له بالربوبية، وأقرَّ لهُ بالوحدانية، حقَّق ذلك وأكده بقوله: «**خلقتني وأنا عبدك**»، هذا نفيد منه فائدة وهي: أهمية التوحيد، وأهمية تحقيقه، حقِّق التوحيد وحقِّق معانيه، لم يكتفِ هُنا بالتوحيد بقوله: «**اللهم أنت ربي لا إله إلَّا أنت**» مع أنها دالة على التوحيد؛ ولكن لعِظم شأن التوحيد حققه بقوله: «**خلقتني وأنا عبدك**» هذا تحقيق للتوحيد، واستحضار لمعناه ودلالته في مقام التذلُّل والانكسار بين يدي الله -تبارك وتعالى-.

قال: «**وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت**» وأنا على عهدك أي: على ما عاهدتك عليه، وعلى وعدك أي: ما واعدتك عليه من الإلتزام بطاعتك، والقيام بشرعك، والامتثال لأمرك، «**وأنا على عهدك ووعدك**» ولهذا قال: «**ما استطعت**» يعني: على قدر استطاعتي أنا على عهدي وأنا على وعدي، على ما عاهدت إلي، وعلى ما واعدتك به من أن ألتزم من الطاعة والعبادة أنا على ذلك ملتزم، أو على عهدك أي: ما عاهدت إليَّ، ووعدك أي: ما يترتب على ذلك من الوعد فأنا على ذلك ملتزم مقيم على قدر الاستطاعة «**ما استطعت**» وهذا فيه أن الأمور على قدر الاستطاعة، والتكليف على قدر الاستطاعة ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن:١٦].

«**أعوذُ بك من شر ما صنعت**» أي: أعوذ بك من كل شرٍّ صنعته وفعلته وقمت به ووقع مني، أتعوذ بك يا الله من ذلك، وأسألك أن تعيذني من ذلك، «**أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي**» أبوء أي: أعترف، معنى أبوء أي: أعترف وأقر، أبوء بنعمتك علي أي: أبوء وأقر وأعترف لك بالنعمة، أنك أنت المنعم، أنت المتفضل، كل نعمة بي فهي منك، وقوله: «**بنعمتك**» نعمة هُنا مفرد مضاف، والعلماء يقولون: المفردُ إذا أُضيف يعُم، فقولك: «**بنعمتك**» أي: بكل نعمةٍ أنعمتها علي، بنعمتك ليس المراد هُنا نعمة معينة تُقصد أو تُراد بالذكر هنا، وإنما المراد: كل نعمة، لأن النعمة هُنا جاءت مفرد مضاف فهي تعم، فقوله: «**بنعمتك**» أي: بكل نعمةٍ أنعمت بها علي، أنا أعترف بأن النعم منك، وأنت المنعم، وأنت المتفضل، والنعم كلها منك ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ [النحل:٥٣].

«**وأبوء بذنبي**» يعني: أعترف وأُقرُّ بأني مذنب مقصر مخطئ، مخالف للذنوب أعترف لك يا الله بأنني مذنب، وقولك: «**بذنبي**» ماذا تريد؟ أي ذنبٍ تقصد؟ مثل ما قلنا قبل قليل، الذنب هُنا ماذا؟ مفرد وقد أُضيف فيعُم، فقولك: «**أبوء بذنبي**» هذا يتناول كُلَّ ذنب فعلته، «**وأبوء بذنبي**» أي: بكل ذنبٍ فعلته، وكل خطأٍ اقترفته، أعترف لك بأخطائي، يعني كأنك تقول: أنا يا الله عبد كثير التقصير، مخطئ، عندي ذنوب كثيرة، عندي خطايا عديدة، أعترف يا ربي لك بذلك، أبوء بذنبي، كل ذلك تأتي به في هذا الدعاء العظيم المبارك، وسيلة بين يدي مطلوبك، أنت مطلوبك ما هو؟ ماذا تريد الآن؟ تريد أن يغفر الله لك، فهذه وسائل بين يدي السؤال والطلب، وطلب المغفرة من الله -تبارك وتعالى-، فهذه وسائل تقدمها بين يدي مطلوبك، أولًا: تُعلن التوحيد، تعلن الإقرار والإيمان بوحدانية الله، تعلن الإلتزام بالعهد والوعد والطواعية لأمر الله، تعلن بأنك معترف بأن النعم كلها من الله -سبحانه وتعالى-، تعلن وتعترف بأنك عبد مذنب مقصر مقرٌ بخطئك وتقصيرك، كل هذه الأمور تأتي بها مقدمة بين يدي المطلوب. ثم بعد ذلك يأتي المطلوب، قال: «**فاغفر لي**» هذا هو المطلوب الآن، هذا هو المطلوب، وما سبق كلها وسائل بين يديه، تتوسل إلى الله -تبارك وتعالى- بتلك الوسائل بين يدي مطلوبك، ولاحظ هُنا الجمع بين التوحيد والاستغفار، وهذا أمر عظيم جدًا، الجمع بين التوحيد والاستغفار، كما قال الله: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ [محمد:١٩]، فجمع في هذه الصيغة بين إعلان التوحيد وطلب غُفران الذنوب، مثل هذا أيضًا ما جاء في حديث أنس في سُنَّن الترمذي، عن النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالى- أنه قال: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بتراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**»، العلماء يقولون -رحمهم الله-: إنَّ هذا الحديث جمع أعظم أسباب مغفرة الذنوب، وهي ثلاثة:

الأمر الأول: الدعاء مع الرجاء، «**إنك ما دعوتني ورجوتني**».

الأمر الثاني: الاستغفار، «**ثم استغفرتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي**».

الثالث: التوحيد، «**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**».

فهذه أعظم أسباب المغفرة، هُنا في هذه الصيغة فيها الدعاء، وفيها الاستغفار، وفيها التوحيد، جمعت ماذا؟ جمعت أعظم أسباب مغفرة الذنوب، دعاء الله مع الرجاء، وطلب المغفرة «**فاغفر لي**»، وفيها التوحيد إعلان التوحيد، والتوحيد هو أعظم أسباب المغفرة؛ لأنَّ من لم يوجد عنده التوحيد ولو استغفر آلاف المرات لا يُغفر له، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨]، التوحيد إذا لم يوجد ليس هُناك مغفرة، مهما كان من العبد ومهما فعل، إذا لم يكن عنده التوحيد ليس هُناك مغفرة، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾، من يلقى الله -والعياذ بالله- مشركًا به، لا مطمع له في مغفرة الله، لا مطمع له في نيل رحمة الله، لا مطمع له في نيل رحمة الله، قُطع الأمر، فُصل قُضي الأمر ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾، يعني من مات على الشرك لا مطمع له في المغفرة، حتى لو كان في الدُنيا يستغفر ما ينفعه استغفاره إذا كان ليس عنده توحيد، التوحيد هو أساس المغفرة، فالشاهد أنَّ هذا الحديث فيهِ جمعٌ بين التوحيد الذي هو أساس المغفرة، والدعاء الذي هو باب كل خيرٍ ورحمةٍ وبرٍ وإحسانٍ في الدُنيا والآخرة، والاستغفار الذي هو طلب الصفح والعفو والمغفرة، قال: «**فاغفر لي**».

ثم ختم هذا الدعاء العظيم بإقراره بأنَّ غُفران الذنوب بيد الله، ليس بيد أحدٍ سواه «**فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت**»، التوبة والمغفرة والرحمة بيد الله، ليست بيدِ أحدٍ كائنًا من كان، ولهذا ذكرت لكم مرة قصة الرجل الأسير الذي جيء به إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- ثم قال ذاك الرجل: اللهم إني تائبٌ إليك، أو أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد، أتوب إلى الله، التوبة إلى من؟ الله -عز وجل- قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ**﴾ [التحريم:٨]، قال: ﴿**تُوبُوا إِلَى اللَّهِ**﴾، فالتوبة إلى الله، وطلب المغفرة من الله لا تُطلب من أحد، فقال الرجل: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، ماذا قال نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- ؟ قال: «**عرف الحق لأهله**»، التوبة لله عبادة، توبوا إلى الله، فعرف الحق لأهله، فهُنا فيه إقرار، قال: «**فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت**» يعني: غُفران الذنوب بيدك، التوبة بيدك، أنت الغفور، أنت التواب، أنت الرحيم، أنا أُقرُّ بذلك؛ ولهذا يلجأ العبد إلى الله -سبحانه وتعالى- مقرًا معترفًا بأن غفران ذنوبه بيد ربهِ -سبحانه وتعالى-.

ثُمَّ لاحظ ملاحظةً هُنا: أنَّ كل شيء بيد الله، يعني كونك تستغفر هذا بيد الله، كونك تُوفق للتوبة وتستغفر هذا بيد الله، هو الذي يوفقك لأن تتوب، وهو الذي يوفقك لأن تستغفر، وهو الذي يتقبل منك توبتك واستغفارك -سبحانه وتعالى- الكل بيده، ولهذا قال في القرآن: ﴿**ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا**﴾ [التوبة:١١٨]، تاب عليهم هذه توبةٌ قبل توبتك، فلله عليكَ توبتان إذا وفقك للتوبة؛ توبةٌ قبل توبتك، وتوبةٌ بعد توبتك، توبةٌ قبل توبتك يوفقك بها للتوبة، وتوبةٌ بعد توبتك يقبل بها ماذا؟ توبتك. فالأمر كله بيده -سبحانه وتعالى-، الأمر كله بيده، وأنت عبد مربوب مخلوق مدبر، لا غنى لك عن ربك طرفة عين ولا لحظةٍ واحدة، أنت بحاجةٍ إليه لتتوب، بحاجةٍ إليه لتستغفر، بحاجة إليه ليغفر لك، بحاجةٍ إليه ليرحمك، أنت بحاجةٍ إليه من كل وجه، لا غنى لك عنه طرفة عين.

ثُمَّ لما ذكر هذا الدعاء العظيم، ختمه ببيان ثمرته وفائدته العظيمة وأثره المبارك لمن يحافظ عليه -نسأل الله التوفيق- قال: «**من قالها حين يمسي**» يعني: من قال هذه الكلمات، ومن قال هذه الصيغة المباركة، «**من قالها حين يُمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة**»، يعني قائل هذا الدعاء ليس بينه وبين الجنة إلَّا أن يموت، الحديث يدل على أن الجنة قريبة جدًا، أن الجنة قريبة جدًا جدًا جدًا، ليس بين العبد وبينها إلا أن يموت فقط، ولهذا قال: «**إن مات من ليلته دخل**

الجنة»، وهذا مثله يأتي في كثير من الدعوات والأذكار والأعمال الصالحة، مثل ما قال -عليه الصلاة والسلام- في آية الكرسي، قال: «**من قرأ آية الكرسي دُبر كُلِّ صلاةٍ مكتوبة، لم يكن بينه وبين الجنة إلَّا أن يموت**»، فهذا يدل على أن الجنة قريبة جدًا، ليس بين العبد وبينها إلَّا أن يموت، هذا كله يؤكد ضرورة وأهمية المحافظة على أمثال هذه الأذكار، وهذه الدعوات العظيمة المأثورة عن نبينا الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

قال: «**من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة**»، «**من قالها**» جاء في بعض ألفاظ الحديث ولم يذكره المصنف «**من قالها موقنًا بها**» اشترط اليقين -عليه الصلاة والسلام-، وهذا يدلنا على أنَّ من يقول هذه الألفاظ على قسمين:

قسم: يُردِّد ألفاظ لا يدري ما هي، وربما أنه أيضًا ينقضها ويفعل ما يضادها.

وقسمٌ: يقولها عن يقين، يعني عن علم وفهم ويقين، عدم شك وعدم تردد.

فاشترط -عليه الصلاة والسلام- اليقين، مثل ما قال في الشهادة، قال: «**أشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍ فيهما إلَّا دخل الجنة**»، اشترط اليقين من أجل دخول الجنة، غير شاكٍ فيهما، وفي حديثٍ آخر قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني عبد الله ورسوله، قال: من قالها مستيقنًا بها قلبه دخل الجنة**» مستيقنًا بها قلبه اشترط اليقين، والله -عز وجل- في القرآن يقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ [الحجرات:١٥]، أي: أيقنوا ولم يشكوا، فهذه مسألة مهمة، هذه مسألة مهمة تتعلق بهذه الأذكار؛ ألا وهي: أنَّ العبد المسلم عندما يقول هذه الأذكار عليه أن يستحضر معانيها، وأن يُحقِّق الإيمان بها، وأن يأمر قلبه بما تدل عليه من الإخلاص، ما تدل عليه من الإيمان، ما تدل عليه من الإذعان، ما تدل عليه من الاعتراف بنعمة الله -تبارك وتعالى- ومنّه وفضله حتى ينكسر القلب ويذل ويخضع لله -تبارك وتعالى- لينال هذا الموعود العظيم، والثواب الجزيل الذي أخبر به -صلوات الله وسلامه عليه-.

(المتن)

وعن أبي هُريرةَ -رضي الله عنه- أنَّ أبا بكرٍ الصديق -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله، علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: «قُل: اللَّهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، ربَّ كُلِّ شيئًا ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذُ بِك من شر نفسي وشر الشيطان شركه». وفي رواية: «وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أَجرهُ إلى مُسلم، قُله إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك». قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

(الشرح)

ثُمَّ أورد -رحمه الله- هذا الحديث، حديث أبي هُريرةَ -رضي الله عنه- أنَّ أبا بكرٍ الصديق -رضي الله عنه- قال: **يا رسول الله، علمني شيئًا أقوله إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ**، وسيأتي عندنا لاحقًا، أنَّ أبا بكر الصديق أتى النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- وقال: **علمني شيئًا أدعو به في صلاتي وفي بيتي**، سيأتي فيما بعد.

هُنا قبل أن ندخل في المضامين، الذي طلب من النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يعلمه هذا الدعاء، **علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت**، من هو؟ من هو هذا الذي جاء ليتعلم؟ هذه لا بُدَّ أن نقف عندها، من هو هذا الذي جاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال له: علمني، هكذا قال: **علمني شيئًا أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت**، من هو هذا؟ ومن هو الذي سيأتي معنا حديثه لاحقًا يقول: **علمني دعاءً أدعو الله به في صلاتي وفي بيتي**، من هو؟ أفضل أُمة محمد -عليه الصلاة

والسلام-، أزيدكم أمرًا، آخر أفضل أمم الأنبياء -رضي الله عنه- وأرضاه، أفضل أمم الأنبياء، يعني أفضل الناس بعد الأنبياء -رضي الله عنه- وأرضاه أبو بكر الصديق، جاء في الحديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «**أبو بكرٍ وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين عدا النبيين**»، واضح الحديث ولا لا؟ قال: «**أبو بكرٍ وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين خلا النبيين**»، فمرتبة أبو بكر -رضي الله عنه- ومنزلته أنه أفضل الناس بعد الأنبياء في كل الأمم ليس في أمة محمد -عليه الصلاة والسلام-، في كل الأُمَّم أفضل الناس بعد الأنبياء أبو بكر، ثُمَّ يليه عمر -رضي الله عنهما- وأرضاهما.

فهذا أبو بكر الصديق، أيضًا صديق الأُمَّة، لقَّبهُ النبي -عليه الصلاة والسلام- بهذا اللقب الفخم العظيم، فيأتي إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- ويقول: علمني، علمني شيئًا أقوله في الصباح والمساء، علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، عرفنا هذا؟ ثم نجد في المقابل أُناس ما يبلغون في علم أبي بكرٍ -رضي الله عنه- وأرضاه شيئًا، ثُمَّ يجمعون قراطيس ويكتبون فيها أدعية تقال في الصباح والمساء ينشئونها من عند أنفسهم، صدِّيق الأُمة يذهب إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- ويقول: علمني، وهؤلاء يهجرون المأثور الثابت عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، ثم يجمعون في قراطيس أشياء يتكلفون هم إنشائها واختراعها من قبل أنفسهم، ثُمَّ يدعون بها، وينشرونها بين الناس يدعون بها، والسُنَّة تُهجر وتُحيا أمثال هذه التكلفات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فهُنا يا إخوان نقف وقفة، إذا كان صديق الأُمَّة يرجع إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- ويقول: علمني، فما الذي علينا نحن أن نفعله؟ هل علينا أن نذهب إلى أولئك الأشخاص، ونأخذ قراطيسهم وكتبهم التي جمَّعوا فيها أشياء هم تكلفوها؟ حتى إنَّ بعضهم كَتَبَ كُتُبْ يقول: دعاء يوم السبت، دعاء يوم الأحد، دعاء يوم الاثنين، دعاء... ويتكلفون أشياء من قبل أنفسهم، يا سبحان الله! ثُمَّ يتركون أمثال هذا الخير، وأمثال هذا العلم، لو كانت المسألة مسألة تكلُّف فأبو بكر أقدر -رضي الله عنه- أقدر وأفقه وأعلم، ولم يكونوا أهل تكلُّف وإنما كانوا أهل اقتفاء، يقول ابن مسعود في بيان وصف حال الصحابة يقول: **إنَّا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر**، هذه حال الصحابة، يصفهم بها ابن مسعود -رضي الله عنه- وهو واحدٌ منهم، يقول: **إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر**، فهذه فائدة مهمة: الأوراق والكُتُب التي فيها تكلفات، وتُنشئ ينشئها أقوام من قبل أنفسهم ويخترعونها هذه كلها تُطرح جانبًا، ونقبل على السُنَّة، نقبل على السُنَّة كما أقبل أبو بكر -رضي الله عنه- وكما أقبل عُمر وكما أقبل الصحابة -رضي الله عنهم-، العبَّاس عَم النبي جاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال: **يا رسول الله، علمني دعاءً أدعو الله به**، فقال: «**يا عبَّاس سَل الله العافية**»، فكأنه تَقالها، جاء بعد أيام وقال: **يا رسول الله! علمني دعاءً أدعو الله به**، قال: «**يا عبَّاس يا عمَّ رسول الله سَل الله العافية**»، علمه نفس الدعاء، علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- جاء في صحيح مسلم قال: **يا رسول الله! علمني دعاءً أدعو الله به**، قال: «**اللّهم إني أسألك الهُدى والسداد**» وفي رواية قال: «**قُل: اللهم اهدني وسددني**»، الصحابة يتعلمون من النبي -عليه الصلاة والسلام- وكثير من الناس يذهبون إلى زيد وعُبيد يأخذون من قراطيسهم وأوراقهم، ثُمَّ يقرؤون ما كتبوه! ما يدريك عنه؟ هذا الذي كتب تلك القراطيس ليس بمعصوم، إنسان كثير الخطأ، عُرضة للخطأ، عُرضة للذلل، أمَّا دعوات النبي -عليه الصلاة والسلام- فصفتها أنها معصومة ليس فيها خطأ، صفتها أنها تامة ليس فيها نقص، صفتها أنها مشتملة على كمال المطالب العالية والمقاصد النبيلة، فلماذا لا يُقبل عليها الناس ويتجهون إلى تلك الكتب؟

الواجب يا إخوان، الواجب يا إخوان، الواجب يا إخوان: أنَّ تِلك الكتب كلها تُطرح، تُلقى جانبًا إذا لم ترَ في الكتاب قال رسول الله ﷺ، وتُبنى على السُنَّة الصحيحة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- فدعه عنك، وأقبل على السُنَّة تغنم وتربح في دُنياك وأُخراك، ونسأل الله للجميع التوفيق.

قال: **أنَّ أبا بكر الصديق** -رضي الله عنه- **قال: يا رسول الله! علّمني شيئًا أقوله إذا أصبحتُ وإذا أمسيت، قال: «قُل: اللُّهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، ربَّ كُلِّ شيئًا ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت»**، هذه الجُمَل وسيلة بين يدي المطلوب، والمطلوب: تعوُّذٌ بالله -عز وجل- من الشرور، فبين يدي المطلوب توسل إلى الله -عز وجل- بهذه الوسائل:

الأولى: شمول علم الله وسعته، علمه -تبارك وتعالى- بكل شيء، «**اللهم عالم الغيب والشهادة**» الغيب: أي الأمور الغائبة عنا، أمَّا في حقِّ الله -سبحانه وتعالى- فالكل ماذا؟ الكل شهادة، الغيب في حقه شهادة، والسرُّ في حقه علانية لا تخفى عليه خافية، لكن قولنا نحن: «**اللهم عالم الغيب**» يعني: الغيب الذي في حقنا، الأمور الغائبة عنا أنت تعلمها، هي غائبة عنَّا وليست غائبة عنك، ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ**﴾ [يونس:٦١]، فلا يغيب عنه شيء -سبحانه وتعالى- لا يغيب عنهُ شيء، فقولك: «**عالم الغيب**» يعني: الشيء الغائب عنَّا نحن، أمور غائبة عنا كثيرة، لكن علم الله محيط، «**عالم الغيب والشهادة**» يعني: يا من أحاط علمه بكل شيء، يا من تعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، يا من أحطت بكل شيءٍ علمًا، أنت تتوسل بعلم الله وإحاطته بكل شيء، بالدقيق والجليل، الصغير الكبير الخفي المعلن السِر.. كل ذلك تتوسل إلى الله بعلمه به، «**عالم الغيب والشهادة**».

«**فاطر السموات والأرض**» يعني مُبدِع السموات والأرض وخالقهما من العدم، وموجدهما بعد أن لم يكونا، «**فاطر السموات والأرض، ربَّ كُلِّ شيءٍ ومليكه**»، «**ربَّ كُل شيء**» يعني: يا من كل شيءٍ تحت تصرفك وتدبيرك، أنت ربه خلقته، أنت ربه تملكه، أنت ربه تتصرف فيه كل هذا من معاني الربوبية، «**ربَّ كُل شيء ومليكه**» يعني: المالك لكل شيء، كل ما في هذا الكون ملكٌ لله ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ [النساء:١٣١]، كل ما في هذا الكون من ذرة من صغير من كبير كله ملكٌ لله -سبحانه وتعالى-. «**ربَّ كُل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت**» وهذه كلمة التوحيد، بعد أن ذكر ربوبية الله إحاطة علمه -سبحانه وتعالى- أقرَّ له بالوحدانية، وشَهِد لهُ بالوحدانية، وأنه المعبود بحق، ولا معبود بحقٍ سواه، قال: «**أشهد أن لا إله إلَّا أنت**»، لاحظ هُنا اجتمع لك في هذه الجُمَل أنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الأسماء والصفات في قولك: «**عالم الغيب والشهادة**».

الربوبية في قولك: «**فاطر السموات والأرض ربَّ كُلِّ شيءٍ ومليكه**».

الألوهية في قولك: «**أشهد أن لا إله إلَّا أنت**».

فجاءت أقسام التوحيد الثلاثة مقدمة بين يدي مطلوبك، المطلوب ما هو؟ قال: «**أعوذُ بِك من شر نفسي وشر الشيطان وشِرْكِهِ**»، وشر الشيطان وشركه لفظان أو روايتان للحديث يأتي معناهما، فقال: «**أعوذُ بك**» ومعنى أعوذ أي: أعتصم وألتجئ إليك يا الله أن تحميني وأن تقيني من ماذا؟

ذكر أولًا: شر النفس، «**أعوذُ بك من شر نفسي**».

وذكر ثانيًا: شر الشيطان وشِركه.

فتعوَّذ من أمرين:

الأول: شر النفس.

والثاني: شر الشيطان.

وهُنا تعوُّذٌ بالله -تبارك وتعالى- من مصدريّ الشر، الشر الذي يقع له مصدران، ما هما؟

الأول: النفس الأمارة بالسوء، النفس الخبيثة التي تأمر صاحبها بالسوء، هذا منبع للشر.

والمنبع الثاني للشر: الشيطان، الشيطان يؤزّ الإنسان إلى الشر أزًا ويدفعه إليهِ دفعًا ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الإسراء:٥٣]، الشيطان مصدر من مصادر الشر التي تنبع في الإنسان، فهُنا تعوَّذ بالله -تبارك وتعالى- من مصدري الشر، وهما: شر النفس، وشر الشيطان، قال: «**أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه**»، «**وشِركِهِ**» أي: ما يدعو إليهِ من الشِرك، الرواية الثانية: «**وشَرَكِهِ**» أي: ومصائده، الشَرَك هو: الحبَّالة والمصيدة، الشيطان عنده حبالات ومصائد، مصائد يصطاد وفخوخ يصطاد بها الناس، يضلهم بها عن سواء السبيل، يضعها لهم في طريقهم ليصرفهم عن الجادة، فقوله: «**وشَرَكِهِ**» أي: المصائد التي وضعها الشيطان في طريق المؤمن ليصرفه بها عن العبادة، ولهذا سمَّى ابن القيم -رحمة الله عليه- كتابه: "**إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**"، المصائد هي: الشَرَك والحبَّالات التي يضعها الشيطان ليصرف بها الناس عن الجادة.

قال: «**وأعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشِركه، أو وشر الشيطان وشَرَكِهِ**». ثم قال: **وفي رواية**، وهي ثابتة: «**وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أَجرهُ إلى مُسلم**»، قوله: «**وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أَجرهُ إلى مُسلم**» هُنا نتيجة الشر النابع من النفس، أو الشر الصادر من الشيطان، ينشأ عن هذين الشرين أو عن هذين المصدرين للشر نتيجتان هُما: أن تقترف على نفسك سوءًا أو تجره إلى مسلم، هذه النتيجة، الشر الذي يصدر من النفس، والشر الذي يصدر من الشيطان ينبع أو ينتج منه شيئان ما هُما: إثمٌ تقترفه على نفسك، أو شرٌ تجره على غيرك، فأنت هُنا في هذا التعوُّذ جمعت بين أمرين: بين التعوُّذ من مصدري الشر ومن نتيجتيه.

انتبهوا يا إخوان! تعوَّذت أنت بهذا التعوُّذ، تعوذت من أمرين: من مصدري الشر ومن نتيجتيه، من مصدري الشر بقولك: «**شر نفسي وشر الشيطان**»، ومن نتيجتيه بقولك: «**وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم**»، لأنَّ إذا صدر الشر من النفس وصدر الشر من الشيطان؛ نتج عنه إحدى نتيجتين هما: أن تقترف على نفسك سوءًا أو تجره على الآخرين، إذًا هذا الدعاء فيه التعوذ بالله من أمور أربعة: التعوذ من شر النفس، التعوذ من شر الشيطان، التعوذ من أن تقترف على نفسك إثمًا، التعوذ من أن تجر السوء والشر إلى الآخرين، أربعة أمور تعوذت منها:

الأولان من هذه الأمور: هما مصدرا الشر.

والثانيان: هما النتيجة.

قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لأبي بكر لما علَّمه هذا الدعاء: «**قُله إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**» زاده هذه الثالثة، أبو بكر قال: **أريد شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت**، فالنبيُّ -عليه الصلاة والسلام- علَّمهُ هذا الدعاء وقال: «**قُله إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**»، إذًا السُنَّة في هذا الدعاء أن نقوله ثلاث مرات: مرة في الصباح مع أذكار الصباح، ومرةً في المساء مع أذكار المساء، والمرة الثالثة عندما يأخذ الإنسان مضجعه لينام، يأتي بهذه الدعوات العظيمة.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.